٢ - الفـــارابى

فى العالم الاسلامى وفي أوربا

بمناسبة مرور ألف عام على وفاته

للأستاذ ضياء الدخيلى

لا ريب أن قيام الفارابى بشرح الكتب اليونانية الطارئة قد أدى خدمة جلى لليقظة العربية ، ولو لم يقم هو ومن حذا حذوه بشرح غوامض الفلسفة التى وفدت على بلاد العرب من دون سابق ألفة لما نهضت صروح تلك الحركة الفكرية ولم تثبت فى هذه البيئة الجديدة روحيا وماديا. وإذن فإن شرحه للتراث اليونانى كان تلبية لنداء الحاجة التى اقتضتها الظروف القاهرة. ولعله شغل بالشرح عن الابتكار والإبداع . على أن الشرح لا ينقص من مكانته ، ولا أجد كبير فرق بين الشارح والمؤلف ، فإن الأول إذا فهم أهدافه الثانى وعرف أفكاره فقد حاق فى نفس الأجواء التى يبسط المبتدع جناحيه فيها وتابعه فى طيرانه وكان معه فى مستوى واحد؛ إلا أن المبتدع يتقدم فيتلوه الشارح . ولقد كانت بركة الفارابى شاملة غير المسلمين والعرب فإن الأمم الأعجمية عندما نهضت واستشرفت معالم الفلسفة اليونانية وجدت فى الفارابى وتلاميذه من يأخذ بيدها إلى الصواب فى متاهة أفكار الفلاسفة، فلذلك عمدت إلى آثاره فترجمتها إلى لغاتها قال (جورج سارتون Sarton) فى كتابه المدخل إلى تاريخ العلم introdnction to the history of sciene ترجم إلى اللغة اللاتينية (جون John) و (جرارد Gerard of Gremood) كتاب إحصاء العلوم للفارابى (وهو من النصف الأول للقرن العاشر الميلادى) (١) وقال (سارتون) إن كتاب (المبادئ) الباحث فى الفلسفة والسياسة الذى ألفه الفارابى فى النصف الأول من القرن العاشر فى دمشق (عام ٩٤٢م) وراجعه وأعاد النظر فيه فى القاهرة بين عامى (٩٤٨ - ٩٤٩ م) قد ترجم إلى العبرية عام ١٢٤٨م تحت عنوان hathalot hs-nimaza ot hatile iyyim وترجمها إلى العبرية (موسى بن تبون Noses I. tibbon) الذى ولد فى مرسيليا وكان قد ترجم إلى العبرية جملة كتب عربية لابن رشد والفارابى وغيرهما وكان من أعظم المترجمين فى العصور الوسطى وكان رياضيا وطبيبا وفلكيا (٢) وقال سارتون Sarton إن إسحاق البلاغ اليهودى Isaac albalog كان فيلسوفا ومترجما من العربية إلى العبرية وقد ترعرع فى شمالى إسبانيا فى نهاية القرن الثالث عشر الميلادى وبداية القرن الرابع عشر، وقد سعى ليوفق بين علم اللاهوت اليهودى والثقافة الأرسطاطاليسية الصافية الأصيلة. وفى خلال دحضه ونقضه وتفنيده آراء الغزالى و(موسى ابن ميمون Naimonides) قدم ملاحظة تقول بأن أغلاطهم أى أغلاط أتباع ابن ميمون نشأت من أخذهم فلسفة أرسطو بصورة غير مباشرة ، ولم يتهيأ لهم أن يقتبسوها من معينها الأصيل ؛ ذلك لأنهم أخذوها من شروح الفارابى وابن سينا والآخرين (٣) . وإذن فإن هذا الفيلسوف اليهودى يرى أن الفارابى وتلميذه ابن سينا لم يفهما أرسطو على حقيقته. وهذه دعوى نظنه انفرد بها ولم يشاركه فيها أحد من البشر، وقد نجشمها لأجل تقريب إمكان التوفيق بين اليهود وتعاليم أرسطو ، ساعيا ليجعل الصعوبة التى وجدها محاولو ذلك التوفيق ويرجعها إلى أن الفلسفة التى بأيديهم المنسوبة لأرسطو مشوهة وممسوخة ، أما فلسفة أرسطو الحقيقية فإنها لا تتعارض مع اليهودية . ليت شعرى ما الذى حمله على كل هذا التحمل والتكلف ؟ ومن قال له إن كل ما قاله

الحركة سلطانها الحالى محمد بن يوسف ، فثارت فرنسا وأرعدت وقام قائدها جوان المقيم العام يثير القبائل على السلطان ويهدده ، وأمام التهديد قبل السلطان ما فرضه جوان !

وقد ذهب صحق مصرى أخيراً لمقابلة جلالة السلطان وتمت المقابلة، وكان يجلس بجانب الصحفى المصرى أثناء المقابلة المستشار الفرنسى ويقول الفرنسيون بعد هذا إن السلطان ينعم بتمام الحرية

أبو الفتوح عطيفة
المدرس الأول للعلوم الاجتماعية
بمعهد الزقازيق

---

(١) vol.2 Part.1 page,171 introduction to the history of sienc sarton

(٢) « « « 548 « « « « « « « « «

(٣) vol,2,part.1 page,677 introduction to the history of sience sarton

أرسطو حق مستقيم لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه . وأظن هذا اليهودى التائه لو بعث اليوم من مرقده ورأى كيف أن الفلسفة العصرية هدمت هياكل فلسفة أرسطو وإخوانه من اليونان لسخر من أتعابه وجهوده فى تقويم المعوج فى العصور الوسطى ، ولا بأس أن نشرح كلمة مرت عليك قبل أسطر هى Naimonides فقد شرحها لناقاموس Webster إذ قال إن Naimonidean منسوب إلى Naimonides أى موسى بن ميمون الذى عاش (١١٣٥ م — ١٢٠٤ م) وكان من أعظم فلاسفة اليهود فى القرون الوسطى ، وكانت مدرسته تتوخى الجمع والتوفيق بين فلسفة أرسطو والتعاليم اليهودية (١)

أقول وهذا نظير ماسعى إليه (إخوان الصفاء وخلان الوفاء) من الجمع بين الإسلام والفلسفة اليونانية وكل ذلك ناشئ من إكبار فلاسفة العصور الوسطى لفلاسفة اليونان ، فأخذ كل فريق يؤيد دينه بالتوفيق بينه وبين فلسفة اليونان ، ظنا منهم أن الذى يتفق مع آراء أرسطو الذى كان نابغة خالدة يضمن له الرسوخ والثبات ولماذا ؟ وقد جاء وفق ما اعتدت إليه المباقرة من اليونان أوأن هذه المساعى كانت ضرورة ملحة استجابة لتبلبل الأفكار حيث اصطدمت فى نفوسهم عقيدتان فلابد من التأليف بين ماإختلف منهما؟ وإلا فإن اصطدامهما يودى بإحداهما. فيرأن طائفة من المتزمتين ثاروا فى وجه الفلسفة وحرموها وقاوموها وأعلنوا بطلانها وسفهوا أحلام الفلاسفة وظنوا أنهم استراحوا فكانت النتيجة أن بقوا سخرية الأجيال المتعاقبة وفى طليعة هؤلاء ابن تيمية وابن قيم الجوزية وابن الصلاح ، والذى يهم موضوعنا اليوم مما تقدم أن هذا اليهودى العنيد يرى أن الفارابى شارح أرسطو قد خلط وخبط ولم يهتد إلى سواء السبيل ، ولم يفهم حقيقة فلسفة أرسطو. ولتركه واعتقاده ونعرض لك شخصية أوربية أثنى عليها (سارتون) فى كتابه وادعى أنها كانت تضع ثقتها كلها فى صاحبنا الفارابى وتلميذه ابن سينا ، أجل قال (سارتون) فى ترجمة (ألبرت الكبير Albert the great) الذى ولد عام ١١٩٣ م فى (لوينجن Lauingen) وتعلم ودرس فى (بادوا Padova) ثم علم ودرس فى مختلف المدارس الربانية المسيحية فى ألمانيا سنة ١٢٢٨ م وما بعدها، ودرس فى باريس من عام ١٢٤٥م إلى عام ١٢٤٨ م وكانت مؤلفاته تقوم على مدرسة أرسطو، وكانت نوعا من التفاسير والشروح لما كتبه أرسطو ، ولكنه أقحم فيها حشوا كثيرا مأخوذا من الفلسفة الإسلامية واليهودية ومصادر أخرى مختلفة ، وزج فيها أيضا ملاحظاته الشخصية

يقول (سارتون) (٢) إن ألبرت الكبير هذا قد اعتمد من بين شراح فلسفة أرسطو واتبع بصورة رئيسية خطوات الفارابى وابن سينا وكان على الأغلب لايرتضى أقوال ابن رشد وابن يهوذا (ابن جبيرول Ibn Oabirol) الذى اعتبره من الفلاسفة المسيحيين الذين قاوموا فلسفة أرسطو، وقد مال (ألبرت الكبير) ميلا قويا إلى فلسفة موسى ابن ميمون واعتمد عليها ولكنه حافظ على استقلاله . وابن ميمون (٣) هذا هو الرئيس الحاخام موسى بن ميمون ولد فى قرطبة من عائلة يهودية معروفة ، وأكره بسبب الاضطهاد الدينى على مغادرة إسبانيا فذهب أولا إلى فاس ثم إلى عكا ثم إلى القاهرة حيث توطن. وكان مشهورا لا فى الطب فحسب، بل فى الفلسفة والدين. وبالغ اليهود فى احترامهم له. وكان ابن ميمون طبيب صلاح الدين الأيوبى ثم طبيب الملك الأفضل وطبيب أشراف الدولة، وقد تراكمت عليه الأشغال حتى كان أحيانا يأخذه التعب فيعالج بعض المرضى وهو مستلق على الديوان. وكانت معظم تآليفه فى اللغة العربية وقلما كتب فى العبرانية. وقد ترجمت كتبه إلى العبرانية ثم إلى اللاتينية. أما شهرة موسى بن ميمون فلم تأت من الطب ولكن من محاولته التوفيق بين الاعتقاد والبرهان ، وبين الدين والعلم . وأتته أيضا من تعاليمه التى وعاها فى كتابه (دلالة الحائرين) الذى دون فيه نظرياته فى تقريب الفلسفة اليونانية والعربية من التعاليم الدينية فى زمانه ، ولهذا اتهمه المعاصرون من خصومه بالهرطقة وسموا كتابه (ضلالة الحائرين) رغما من أنه كان يشغل أكبر مركز دينى عند اليهود فى القاهرة. وقد ترجم هذا الكتاب إلى العبرانية ثم إلى اللاتينية وكان ذا أثر عظيم على النظريات الفلسفية فى القرون الوسطى وما بعدها حتى

(١) قاموس وبستر (٢) Page 935 Sarton

(٣) الطب العربى للدكتور أمين أسعد خير الله الأستاذ فى الجراحة فى الجامعة الأميركية فى بيروت ص ١٥٩

أننا لنجد أثر هذه التعاليم فى فلسفة (سبينوزا) و(كانت) .

ونعود إلى صاحبنا الفارابى فنلفت نظرك إلى أن من المأمول والمترقب أن لا ينجو أبو نصر من حملات الغزالى على الفلسفة وأقطابها، وأن المسيحيين الذين خاصموا الفلسفة إجمالا قد استعانوا بخصوم الفلسفة من المسلمين ، فموقف الغزالى العقلى والدينى قد راق علماء المسيحيين منذ اللحظة التى تيسر لهم فيها الاطلاع على كتبه ولا يزالون مهتمين بدراسة أبحاثه والعناية بها. والمعروف أن الغزالى قد هاجم الفلسفة وذهب فى هجومه عليها إلى تكفير أهلها ، من أفلاطون وأرسطو إلى الفارابى وابن سينا ، وقد مهد لدراستها بكتابه (مقاصد الفلاسفة) ثم حمل عليها فى كتابه (تهافت الفلاسفة) وسرعان ما راج كتابه الثانى عند خصوم الفلسفة من المسيحيين فنلاحظ أن (ريموند مارتن R. Martin) الذى يحتمل أن لا يكون لعلمه بمؤلفى العرب نظير فى أوربا بأسرها حتى العصور الحديثة — فيما يقول جيوم — قد نهض بعد عامات القديس (توما) بمقابلة فلاسفة الإسلام وعلمائه ، واستجاب لطلب (ريموند بنافورت Raymuod Pinnafort) رئيس هيئة الدومنيكيين فى وضع كتابه (الدفاع عن الإيمان) وأدخل فيه الكثير من آراء الغزالى ومنذ ذلك الحين أفاد الكثيرون من علماء المسيحية من آراء الغزالى ، وانتفع القديس (توما) الذى عاصر (مارتن) برسالة الغزالى فى (الاقتصاد فى الاعتقاد) فى وضع كتابه المعروف (الخلاصة الفلسفية فى الرد على الأمم غير المسيحية) الذى وضعه استجابة لطلب رئيس هيئة الدومنيكيين السالف الذكر. وأوجه الشبه بين آراء توما والغزالى كثيرة (١)

ونلاحظ أن الغزالى كان وبالا على الفلسفة عند اليهود والمسيحيين على السواء وكان له الأثر الهدام (٢) فى فلسفة العالم الإسلامى، وكان أثر كتابه (تهافت الفلاسفة) عند هؤلاء جميعا أعمق — فيما يلوح — من أثر (تهافت التهافت) الذى فند فيه ابن رشد موقف الغزالى من الفلسفة . وقد قسم الغزالى الفلاسفة فى كتابه (المنقذ من الضلال) إلى ثلاثة أصناف : دهريين وهم الزنادقة لأنهم جحدوا الصانع المدبر العالم القادر وزعموا أن العالم لم يزل موجودا بنفسه ... ثم طبيعيين وهم الذين سلموا بوجود قادر حكيم مطلع على غايات الأمور ومقاصدها ولكنهم أنكروا معاد النفس وجحدوا الآخرة والحساب فلم يبق عندهم للطاعة ثواب ولا للمعصية عقاب ، وهؤلاء زنادقة ... ثم إلاهيين وهم المتأخرون منهم كسقراط وأفلاطون وأرسطو وقد هاجروا الدهرية والطبيعيين ولكنهم استبقوا من رذائل كفرهم بقايا توجب تكفيرهم وتكفير متبعيهم من متفلسفة الإسلاميين كابن سينا والفارابى وأمثالهما ..

ويرى الغزالى أن مجموع ما صح من فلسفة أرسطو بحسب ما نقله هذان الفيلسوفان (ابن سينا والفارابى) ينحصر فى ثلاثة أقسام قسم يجب التكفير به وقسم يجب التبديع به (أى اعتباره بدعة) وقسم لا يجب إنكاره أصلا

للكلام صلة

ضياء الرفيلى

(١) تراث الإسلام ص ٣٠٦ وما بعدها

(٢) قصة النزاع بين الدين والفلسفة ص ٩١ ، ٩٩ ، ١١١

للاستاذ أحمد حسن الزيات

يؤرخ الأدب العربى من عصر الجاهلية إلى هذا العصر، بأسلوب قوى ، واستيعاب موجز، وتحليل مفصل، واختيار موفق، ومقارنة بين الأدب العربى والآداب الأخرى

طبع اثنتى عشرة مرة فى ٥٢٥ صفحة

وثمنه أربعون قرشاً عدا أجرة البريد